

1670 - الأساس: الكتاب الأول: الافتراضات الأساسية (61)

الإدراك (22)

الفهم والافهم: مدخل إلى الإدراك (1من3)

مقدمة:

أنهيت الحلقة الأخيرة يوم الأربعاء الماضي بتساؤلات عن علاقة منطقتي التي عدتها مضطرا في مسألة تميزنا الثقافي [1] (ليس بالضرورة الإسلامي) تساؤلات تقول: وما علاقة هذا بموضوع الإدراك، ثم وما علاقة كل هذا بمعرفة الله. في نفس الوقت جاءتني تساؤلات مكررة في الأسابيع الأخيرة تطلب مزيدا من توضيح الفرق بين الإدراك والفهم، وأيضا بين العين الداخلية والبصيرة، وغير ذلك. وقد اضطررتي هذه الوقفة إلى التأكيد على التوصية بالانتقال من مرحلة المناقشة النظرية إلى عرض ما تيسر من ممارسات عملية (مهنية غالبا) تؤكد نقطة انطلاقنا من واقعنا الثقافي، وفي نفس الوقت تظهر إصراري على تحديد الهدف المحوري وهو بيان كيف أن معرفة الله، وحضور ذلك عاملا فاعلا طول الوقت (بمعنى تلقائية نفي الشرك، ممارسة وعلاج) هو من أهم ما يميز ثقافتنا على اختلاف دياناتنا (أو ديانات أغلبنا). من هذا المنطلق زادت أهمية فحص أبعاد الإدراك وحقيقته وطبيعته، من حيث أن معرفة الله تتم من خلال جدل مستوياته (مستويات الإدراك) حيث لا يمكن إثبات وجود الله بالفكر والعقل مثلما يفعل علم الكلام، أو المحدثين من المتدينين السطحيين بمعنى أننا لا يمكن أن نحصل على هذه المعرفة عن طريق الشرح العقلاني الديني لنصوص بذاتها، ولا عن طريق استلهاهم البركة من ألفاظ بذاتها، وإنما بدراسة وكشف أبعاد الوسيلة الأولى بالاهتمام التي يمكن أن تسهم أكثر في معرفته سبحانه وتعالى وهي "الإدراك". هكذا قدرت أن أتوقف عن التنظير قليلا، ثم أتقدم لأعرض عينة عشوائية من العلاج الجمعي بالذات، وهو المجال الذي هداني لكثير مما جاءني هذه الأطروحة مما قد يفيد كمدخل عملي مناسب في توضيح المنهج المرتبط بهذه المسألة بوجه خاص، وهي

أن معرفة الله،
وحضور ذلك عاملا
فاعلا طول الوقت
(بمعنى تلقائية
نفي الشرك، ممارسة
وعلاج) هو من أهم
ما يميز ثقافتنا على
اختلاف دياناتنا (أو
ديانات أغلبنا).

التفرقة بين "الفهم"، بمعنى التفكير الظاهر، و"اللافهم" بمعنى ما دون ذلك، وأيضا ما هو عكس ذلك، مع احتمال كونه يقوم بوظيفته "مع" ذلك!
أعتقد أن على أن أكرر الفرض القائل أن الله سبحانه، إنما يعرف بتنشيط مستويات الإدراك جميعا والسعى والكدح إلى ذلك عبر كل القنوات ظاهرا وباطنا، هذا، ولا بد من التذكرة بأننى حين قدمت أسس انطلاقى عامة للاسهام فى تميز ثقافتنا الخاصة وأوصيت كما جاء بأول هذه النشرة بالانطلاق من الممارسة العملية فى واقعنا الآتى، كان لزاما أن أبدأ بنفسى كتجربة أو عينة عملية تبين ما أعنيه وذلك فى نشرة اليوم، فقررت أن أعرض ما جرى فى جلسة علاج جمعى تمت فيها معالجة إشكالية "الفهم فى مقابل عكسه"، كما مارسناه مع أربعة مرضى ومعالجة متدرية واحدة بالاضافة إلى شخصى.

تمهيد:

المقتطف الذى سوف أعرض نصه اليوم وغدا هو ما جرى من تجربة حيه تظهر أننا نتواصل، ونعالج، بمستويات متعددة، منها الفهم، ومنها ما هو غير الفهم، وأحيانا عكس الفهم.
فى العلاج الجمعى - الذى أمارسه على الأقل - لا يسمح لأى فرد من المرضى أو المعالجين (حسب مرحلة التدريب) بالاعتذار عن عدم المشاركة بحجة "عدم القدرة"، أو "عدم الفهم"، ونحن عادة نواجه المريض، وأنفسنا، كمعالجين مشاركين أننا نعمل (نشتغل) "فى ما لا نفهم"، وأننا نحاول "ما لا نستطيع" كما أننا نكمل "قيما لا نعرف" كما قد يرد فى نص المقتطف، وكل هذه القواعد تساعدنا على طرق باب مستويات الإدراك بشكل أو بآخر.

المقتطف:

هذه الجلسة بدأت من حيث أن المريض "أحمد" (اسم بديل) أعلن فى جلسة سابقة أنه تغيّر، تحسّن، دون أن يعرف كيف تم ذلك، خاصة وأنه كان يكرر عادة أنه "مش فاهم" وايضاً "مش عارف"، وسألنى مباشرة فى تلك الجلسة السابقة "هوا ممكن الواحد يخف من غير ما يفهم"، وكانت إجابتى "ممكّن جدا، وأحيانا يُستحسن".
من هذا المنطلق أتاحت الفرصة أن نختبر ماذا يجرى إذا نحن عجزنا عن الفهم (نعنى به غالبا التفكير المنطقى والتفكير بمعنى حل المشاكل Problem Solving) فابتدعنا لعبة تحرك هذا الاحتمال وتختبره، ولعبناها معا كما شرحنا قبلا فى كل الألعاب التى ظهرت فى هذه النشرة ويمكن الرجوع إليها فى نشرات سابقة بهذه الروابط: نشرة 14-9-2007، نشرة: 21-5-2008، نشرة: 28-10-2008، نشرة 26-

2009-7

أن معرفة الله تتم من خلال جدل مستوياته (مستويات الإدراك) حيث لا يمكن إثبات وجود الله بالفكر والعقل مثلما يفعل علم الكلام، أو المحكثين من المتدينين السطحيين

ننشر اليوم المدخل إلى فائدة ومعنى "عدم الفهم" باعتباره "فهما آخر" (إدراكا) محتملا كما يمارسه هؤلاء الناس البسطاء المشاركين في هذه الجلسة، واحدة أمية، وأغلبهم متوسط التعليم يكاد لا يقرأ الصحف.

وسوف أكتفى اليوم بعينة محدودة من ممارسة اللعبة حتى لا تزيد جرعة اليوم عن التقبل فالاستيعاب استعداد لمواصلة نشر بقية الاستجابات ابتداء من نشرة الغد. كما أرجو أن أتمكن في الأسبوع (أو الأسابيع) القادمة من نشر استجابات عينة من الأسوياء الذين يحضرون ندوة جمعية الطب النفسى التطورى/ندوة دار المقطم للصحة النفسية، وهى عينة غير ممثلة لأن كثيرا من الحضور - وليس كلهم - يعملون فى الحقل النفسى. كما أرجو أن تتاح الفرصة فى وقت لاحق لنشر ملاحظات على ما سبق نشره لأننى سوف أنشر اليوم وغدا "النص" فقط دون تعليق حتى أترك الفرصة للقارئ أن يقرأه دون وصاية مسبقة أو شرح لاحق.

كما يمكن أن أدعو أيا من الأصدقاء القراء أن يجرب، أن يلعب نفس اللعبة بنفسه مع نفسه أو مع صديق، وأن يرسل لنا إسهامه كتابة كما كنا نفعل سابقا حين ننشر نص الألعاب ويشارك فيها أصدقاء الموقع (الطريقة).

اللعبة (يا خبر ده أنا لما ما بافهمشى يمكن...)

أحمد: أنا عاوز أشغل فى حاجه يادكتور يحيى

د.يحيى: إتفضل

أحمد: هو تناقض...

د.يحيى: لأه بقى، إحنا بنشتغل "أنا وإنت" و"هنا ودلوقتى"، مش بنتناقش فى قضايا تناقض ومش تناقض، ما إحنا كان فيه تناقض حالا بتاع "أنا باحب نفسى، وبرضه مابحبش نفسى" واشتغلنا فيه، بلاش الشعارات والحكم قبل ما نشغل، ياللا بينا أنا و أنت وهنا ودلوقتى، أى تناقض حايتحل لوحده، أو نستفيد منه والسلام.

أحمد: يعنى أنا دلوقتى فاهم الحوار أو الكلام دلوقتى وفى نفس الوقت مش فاهم

حاجه

د.يحيى: الله يبارك، ربنا يبارك فيك، ما هو اللى بي فهم ويس، يمكن يروح فى ستين

داهيه

أحمد: أنا بقى عندى... (يسكت)

لا يمكن أن نحصل على هذه المعرفة (معرفة الله) عن طريق الشرح العقلانى الدينى لنصوص بذاتها، ولا عن طريق استلهاهم البركة من ألفاظ بذاتها، وإنما بدراسة وكشف أبعاد الوسيلة الأواك بالاهتمام التكميلى يمكن أن تسهم أكثر فى معرفته سبحانه وتعالى وهك الأدرالك

د. يحيى: مش إنت فاكرا يا أحمد، من 6 أشهر تقريبا فتحت الموضوع ده ساعة ما سألت وانت مستغرب وقلت: "هو الواحد ممكن يخف وهو مش فاهم"؟

أحمد: بس ده يادكتور حاجه تانية

د. يحيى: يعنى فاكرها العبارة دى ولا لأ! إذن الفهم ليه وظيفه وقله الفهم ليها وظيفه، يا أخی دا إنت اللي علمتنا الحكايه ديه

أحمد: بس الأحسن يادكتور يحيى إنى أنا أكون فاهم

د. يحيى: ليه بقى؟! ما انت خفيت وانت مش فاهم، أو يعنى إتحسننت، إتغيرت، جرى إيه يا أحمد؟ مش إنت اللي علمتنا الحكايه دى يا أخی لما وصلتك لوحك؟ الفهم له وظيفه وقله الفهم ليها وظيفه، واللى بوظ الناس دول (يشير إلى دائرة المشاهدين - بإذن المرضى - المتدربين الأسوياء خارج دائرة العلاج الصغيرة فى الوسط) إنهم متصورين إنهم فاهمين ميه ميه، ومع ذلك كل حاجة بتبوظ منهم، ما تيالاً نشوف يمكن قلّة الفهم ليها وظيفه، برضه

أحمد: بس مش "على طول"

د. يحيى: طبعا، مش على طول، الله يفتح عليك

أحمد: هو ده معناه إيه؟

د. يحيى: ما انت خلاص كسبت الحسنين أهه

أحمد: لأه بصحيح، ده معناه إيه يادكتور يحيى؟

د. يحيى: معناه إن الواحد حتى لو حمار، يبقى حمار حلو، يعنى حمار بيتحسن، يا أحمد إنت بتقول كلام شديد الأهميه

أحمد: أيوه، بس يعنى هوأ أنا ممكن أقول كلام شديد الأهميه وأنا مش فاهم؟

د. يحيى: طبعا، هو إنت يعنى بتحفظه فى الكتب وبتيجى تسمعه، ما انت بتعيشه وبتقولهو لنا يا أخی، الله!! مش ده اللي حصل؟

أحمد: بس على الأقل أكون فاهم

د. يحيى: إنت عامل زى "هاله" حاترجع فى كلامك

أحمد: على الأقل دلوقتي يا دكتور يحيى، أنا فاهم الكلام اللي أنا بقوله

د. يحيى: ليه بقى عمال تصر على الفهم كده؟ ما انت ماكنتش فاهم واتحسننت، وإستغربت إزاي الواحد يتحسن وهو مش فاهم، الله!!

أحمد: بس برضه الأحسن يكون فاهم

د. يحيى: لأه يا شيخ؟ مين اللي قال أحسن وأوحش، ما يمكن ده بيغذى ده

نصرة: ممكن أتكلم فى موضوع إيه؟

إنما يعرف (الله
سبحانه) بتشيط
مستويات الإدراك
جميعا والسعد
والكبح إلخ ذلك
عبر كل القنوات
ظاهرا وباطنا

د. يحيى: طب ما تخليكي معانا يا نصره علشان عاوزين نتكلم فى قلة الفهم دى، الحكاياه الصعبه أوى دى، هو أحمد حطنا فى حتة كان نفسى أشتغل فيها من زمان، بس مش عارف إزاي د. منى حاتساعدنى بقى هو إنتى موافقه على الكلام ده يا د. منى، الكلام اللى أنا بقوله لأحمد إن عدم الفهم مهم

د. منى: مش عارفه

د. يحيى: مش عارفه؟ ماشى، طب ماتعرفى معانا، أهى يا احمد د. منى قالت زيك:

مش عارفه، ما احنا برضه بنشتغل يا منى فى اللى مش عارفينه

د. منى: ما هو أحمد بيحلها أهوه

د. يحيى: الراجل ماحلش حاجه، الراجل بيحاول وهو قاعد متلخبط أهوه، مش إنت قاعد متلخبط يا أحمد ؟

أحمد: آه

د. يحيى: بس خلاص، لأه يا منى أحمد مطهاش، أحمد قال ده موجود، وده موجود، وعاوز أفهم أكثر، قلت له لأه مش ضرورى وإن عدم الفهم ليه وظيفه والفهم ليه وظيفه وبعدين قال كلمه لطيفه خالص قال بس "مش على طول"، هى فعلا مش على طول، انت يا منى كنتى قاعده تتفرجى علينا وعماله بتفكرى برضه وعاوزه تفهمى ويس

د. منى (الطبيبة المتدربة المساعدة): بافكر إذا كنت أنا بافهم ولا لأه

د. يحيى: يا شيخه ما تشوفى: ممكن عدم الفهم يبقى ليه وظيفه هنا ودلوقتى من خلال خبرتنا ال عشر شهر دول

د. منى: حضرتك عاوزنى أشتغل فى إيه؟ فى عدم الفهم؟

د. يحيى: نشتغل فى عدم الفهم كلنا مش إنتى بس، الله يخرب بيتك يا احمد، لخصت

الدكتورة

د. منى: من الواضح إن حكاية عدم الفهم دى محتاجه شغل

د. يحيى: فعلاً، إزاي يبقى عدم الفهم مفيد زى ما أحمد قال، هو ماقالش كده بالضبط، بس قبل كده يعنى سأل سؤال مهم، أنا مش بامتحنك يا منى، أنا بجد عايزك تساعدينى، أنا مش عارف نشتغل إزاي فى المنطقه دى، مع إنى أنا عارف إنها مهمة جدا حسب خبرتى.

د. منى: هوه عدم الفهم مش بيعطلنا؟

د. يحيى: مش باين، الظاهر إن عدم الفهم كويس والفهم كويس برضه، احنا لما ابتدينا أحمد كان فاهم إن ده تتناقض إشتغلت معاه، وفكرته إن هو اللى علمنا نقيس بالنتيجه، لان وهوه مش فاهم حصلت تغيرات طبيه، أنا باكلمك جد يا منى، ساعدينى علشان أنا مش عارف أشتغل فى الحكاياه دى إزاي دلوقتى، أكمل إزاي.

أنا نعمل (نشتغل)
"فك ما لا نفهم"،
وأنا نحاول "ما لا
نستطيع" كما أننا
نكمل "فيما لا
نعرف" كما قد
يرد فك نص
المقتطف، وكل
هذه القواعد
تساعدنا على طرق
باب مستويات
الإدراك بشكل أو
بآخر

د.منى: طيب نفكر فيها

د.بجى: لأه مش قصدى نقعد نفكر فيها نتناقش، إحنا ممكن نكتب مقالات ومناقشات زى ما انت عابزة، احنا نشغل فيها دلوقتي، يا ترى إزاي نشغل "هنا ودلوقتي" فى الحكايه ديه، ما هو أنا مش جايب الكلام ده من المقالات والكتب، أنا جايبه من أحمد ومننا، إيه رأيك كل واحد يقول أنا لما ما بافهمشى يمكن،..... ونكمل؟

د.منى: حانلعب بقى ؟

د.بجى: إحنا بقالنا زمان مالعيناش، نخليها لعبه علشان تخف المسألة شوية: لعبه نمثلها واحنا بنقول: يا فلان أنا لما ما بافهمشى يمكن ... بس حانلعب مع الكل، كل مرة غير التانيه مش إنتى بس، آه، بس ماتتسبش: تقدرى تولعى النور الأحمر [2]

د.منى: أنا لما ما بافهمشى يمكن...؟

د.بجى: بس، لازم تقولى اسم اللي بتكلميه "أنا...وانت"، مش كده

د.منى: يا أحمد، (نتوقف ثوان) بس دى حاجة غريبة!

د.بجى: ما دام هى حاجه غريبه، يبقى لازم تظهر الغرابية فى صوتنا وتعبيرات وشنا وجسمنا، يالله، عالبركة طيب ماتعملها وانتي مستغربه، مش احنا اتعودنا على كده؟! حانقولها ازاى بقى؟ ولأ أقول لك: إنت علشان تستغرى نزود كلمة "يا خبر!!" فى الأول، تبقى: "ياخبر ده أنا لما بافهمشى يمكن..."، لازم نجيب الدهشه متمثله فى الصوت والوش والحركة والجسم زى ما انت عارفه.

بداية اللعبة "ياخبر!!" ده أنا لما ما بافهمشى يمكن...

د.منى: يا أحمد ياخبر ده أنا لما ما بافهمشى يمكن أحافظ على نفسى

د.منى: يا هاله ياخبر ده أنا لما ما بافهمشى يمكن ده أحسن لى

.....

.....

(ونكمل غدا)

ثم القت د.منى الكرة لأحمد وتعبير "ترمى الكرة لمين" فى هذا العلاج يعنى "من تختارين يلعب بعدك؟" وبدأ أحمد يلعب:

أحمد: يا هاله ياخبر ده أنا لما ما بافهمشى يمكن أتعب

أحمد: يا نصره ياخبر ده أنا لما طلعت ما بافهمشى....

د.بجى: (مقاطعا) لأه مفيش "طلعت"، تقول اللعبة زى ماهيه بالحرف الواحد: "يا خبر

ده أنا لما ما بافهمشى يمكن".... وتكمل

أحمد: بس أنا بعانى منها يادكتور بجى

د.بجى: إنت السبب، انت اللي علمتنا حكاية إن الواحد ممكن يخف من غير ما يفهم

أحمد: ما هو علشان كده بعانى منها

د. يحيى: كمل كمل وبعدين تفرج

أحمد : يا نصره يا خبر دا أنا لما ما بافهمشى يمكن أرتاح

.....

.....

(ونكمل غدا)

ملحوظة:

كانت هذه البداية هي إشارة إلى كيف جرت اللعبة، وقد عرضنا اليوم "مجرد عينة" ولم نكمل استجابات المتدربة د. منى، ولا استجابات المريض أحمد الذى بدأ التفاعل وكان حوار سببا فى ابتداء هذه اللعبة والإكمال. وغدا نكمل استجابتهما، مع بقية المشاركين.

III - تصحيح: أتقدم بأسفى عن ذكر كارل بوبر باعتباره مؤلف "نحو تعريف الثقافة" وصحتها أن الموقف هو ت.س.اليوت وعنوان كتابه كاملا هو "ملاحظات نحو تعريف الثقافة" والنسخة التى استندت إليها هى من إصدارات مكتبة الاسرة برقم إيداع 11162/2001

II - للمتدربة المبتدئة مثل د.منى الحق فى الاعتذار عن المشاركة حتى تطمئن خلال عام التدريب، وهذا ما نسمية "تولع النور الاحمر"، وحين تطمئن بعد شهر أو أكثر أو حتى بعد عدة شهور أو طول العام، تعلن أنها تتنازل عن هذا الحق بإعلانها "توليع النور الأخضر" ولا يعود لها الحق فى إضاءة النور الاحمر (الاعتذار) بعد ذلك حتى نهاية فترة التدريب.